الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

التقابل في القيم الإنسانية في شعر الصعاليك
عروة بن الورد - أنموذجا -

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي

إعداد الطالب(ة):
*- سليخ ريمة
*- صاف نور الهدى

إشراف الأستاذ(ة):
عزوز سطوف

السنة الجامعية: **2014/2013**

مقدمة:

إن قراءة متأنية لأشعار الصعاليك تتيح لنا الظفر بأن القصيدة الصعلوكية نهضت على معنى مخصوص أساسه المال وعمدته البذل, وبذلك تتخطى الصعلكة دلالة الاستهجان فهي تجاوز لقيم المنع وبحث عن مجال أرحب, وكان معنى الأبوة أهم مدارات القول الشعري في ديوان "عروة بن الورد" وعن هذا الأصل توالدت معان فرعية فكانت أبوة "عروة بن الورد "أشبه بدائرة كبرى تختزل كل المعاجم في علاقة جدلية قوامها الاتصال والانفصال.

ولقد عاش الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي عصابات من خلعاء القبائل وقرائها المتمردين يجمع بينهما الفقر والتمرد على النظام القبلي ,والإيمان بأن الحق للقوة وفي محاولة كبيرة لتحقيق أسمى صور العدالة الاجتماعية.

وإن محاولة الوصول إلى المفهوم الاصطلاحي لظاهرة الصعلكة ليس بالأمر الهين وذلك لصعوبة تحديده, إذ من غير المعقول أن ننسب ظاهرة الصعلكة إلى مفهوم معين وهي ظاهرة كما هو معروف عن الكثير من الصعاليك وبالتالي التعدد في المفهوم مثلها مثل الفكر والمذهب, فلكل شخص فكره الخاص وقل ما نجد أشخاص متساوون في الفكر.

إذ من المستحيل أن نجد جميع الصعاليك تصعلكوا لسبب واحد, لو أرجعنا الأمر إلى الفقر نجد "عروة بن الورد" من أسياد قبيلة "عبس", وإذا أرجعنا الأمر إلى الضمير نجد "الشنفرى" تأبط شرا قد خلعها بالقوة من قبائلهم حسب ما تتداوله الروايات.

ومن هنا نلخص إلى أنه توجد الكثير من الأسباب التي عنت مصطلح الصعلكة وجعلته غنيا بعدة تساؤلات باستثناء أمر واحد تتفق عليه وهو أن الصعاليك ينقسمون إلى قسمين من حيث طريقة و أسباب تصعلكهم.

فالقسم الأول: مثل فئة خلعت ومثلها كم من "الشنفرى" و"تأبط شرا ".

والقسم الثاني: مثل فئة تمردت على نظام عيشها القبلي مثلها "عروة بن الورد" المعروف بعروة الصعاليك.

ونحن بصدد دراسة لهذا الأخير وقد انطلق موضوع بحثنا في دراسة التقابل في القيم الإنسانية في ديوان عروة بن الورد.

وقد كان اختيارنا لهذا الموضوع مدى إعجابنا بالشعر كما أن لهذا البحث فائدة كبيرة فهي دراسة تهدف إلى معرفة التقابل في القيم الإنسانية الموجودة في ديوان " عروة بن الورد ".

وقد واجهتنا صعوبات في بحثنا تمثلت في قلة المصادر والمراجع خاصة فيما يتعلق بالتقابل، ولكن بذلنا كل الجهود للوصول إلى صلب الموضوع ولو بالقليل.

وقد انحصر موضوع بحثنا في فصلين تتقدمهما مقدمة.

يحتوي المبحث الأول أي الجانب النظري على مبحثين.

تطرقنا في المبحث الأول إلى ضبط المصطلحات تتمثل في تحديد: مصطلح التقابل, مفهوم القيمة, مفهوم الإنسانية, مفهوم القيم الإنسانية ثم التقابل في القيم الإنسانية.

أما في المبحث الثاني فقد تطرقنا إلى تعريف الصعلكة: لغة واصطلاحا ومفهوم شعر الصعلكة وأسباب الصعلكة ثم خصائص الصعلكة.

وفي الفصل الثاني: أي الجانب التطبيقي فقد تناولنا فيه التعريف بالمدون القيم الإنسانية في شعر "عروة بن الورد " ثم التقابل في القيم الإنسانية وختمنا موضوع بحثنا بخاتمة. وقد اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع.

وفي الأخير ندعو الله أن يوفقنا وأن نفيد ولو بالقليل وندعو الله أن ينتفع بهذا البحث وأن يكون خير شفيع يوم القيامة إنه سميع مجيب الدعاء.

المبحث الأول: تحديد المصطلحات

1- مفهوم التقابل:

يعرف أهل اللغة "التقابل" بأنه : الجمع بين الشيء و ضده كالسواد والبياض، والليل والنهار وعرفه الزركشي بأنه "الجمع بين متضادين مع مراعاة التقابل ".[1]

كالبياض والسواد والليل والنهار, و هذا هو تعريف التقابل من حيث الأصل, وإن كان قد توسعوا في معناه, بحيث يكون في غير متضادين كما سنوضحه قريبا.

وأهل اللغة يسمون هذا النوع من البلاغة (الطباق) وهو مأخوذ من التطابق, بيد أن بعضهم رأى من اللائق من حيث المعنى أن يسمى التقابل لأنه لا يخلو الحال فيه من وجهين:

إما أن يقابل الشيء بضده, أو يقابل بما ليس ضده و ليس ثمة وجه ثالث والتسمية الأخيرة هي اختيارنا وعليها صلاة التراويح من المكي و نبني الكلام.

يروى أن "الحجاج بن يوسف الثقفي " , قال "السعيد بن جبير" رضي الله عنه: ... وقد أحضره بين يديه ليقتله .....ما اسمك؟

قال "سعيد بن جبير " قال : "بل أنت شقي بن كسيرا "

و قد كان الحجاج من الفصحاء المعدودين و قد تضمن كلامه هذا أسلوبا من أساليب العرب, فإنه نقل الاسمين إلى ضديهما (سعيد) بـــ (شقي) و قابل (جبير) بـــ (كسيرا) ويسمى هذا عند علماء البلاغة (التقابل) أو (التطابق) .

و قد وردت كلمة التقابل في القرآن الكريم و من أمثلة ذلك :

صلاة التراويح من جامع الإمام محمد بن عبد الوهاب, قطر و أسلوب (التقابل) في كلام العرب, ورد بكثرة, من ذلك قول علي لعثمان رضي الله عنهما " إن الحق ثقيل مريء

1-كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار العلم الملايين، بيروت، لبنان، ط5، 1996، مج 9، ص 586.

والباطل خفيف وبيء و أنت رجل أن صدقت سخطت و أن كذبت رضيت

فقابل (الحق) بـ (الباطل) و (الثقيل المريء) بـ (الخفيف الوبيء) و (الصدق) بـ (الكذب) و(السخط) بـ (الرضا) و هذه خمس مقابلات في هذه الكلمات القصار.

و من أشعارهم في ذلك ما جاء في قولهم :

فلا الجود يفني المال و الجد مقبل ولا البخل يبقي المال و الجد مدبر

فقد قابل بين الجود و الكرم و بين الغنى (والجد مقبل) و الفقر (و الجد مدبر).

فأسلوب التقابل في القرآن الكريم واضح لمن تأمله, و عبارات المفسرين الدالة عليه ملحوظة لمن تتبعها و من ذلك قولهم : هذه الآية مقابلة للآية الأولى, و قولهم: و بينهما تقابل.

و قولهم : لما بينهما من التقابل .

وأورد عروة بن الورد كلمة "التقابل" و مثال ذلك في قوله: "أن الصعلكة نزعة نبيلة، وضريبة يدفعها القوي للضعيف, والغني للفقير, و فكرة اشتراكية تشرك الفقراء في مال الأغنياء, وتجعل لهم فيه نصيبا بل حقا يغتصبونه إذ لم يؤد لهم, و يهدف إلى تحقيق لون من ألوان العدالة الاجتماعية والتوازن الاقتصادي, بين طبقي المجتمع المتباعدين : طبقة الأغنياء, وطبقة الفقراء " فالغزو الإغارة للسلب والنهب لا يعد عنده وسيلة وغاية وإنما وسيلة غايتها تحقيق النزعة الإنسانية والفكرة الاشتراكية" [1]

1- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، يوسف خليف، دار المعارف، دن، القاهرة، مصر، ط 3 ، ص 49.

2- مفهوم القيمة :

تعد القيمة مبحثا مهما من مباحث الفكر الإنساني, وهي قديمة قدم الإنسان ذاته, وتمتلك أهمية كبيرة في حياته.

اصطبغت القيمة في استعمالها اليومي بصبغة اقتصادية إذا ارتبطت بمسائل البيع والشراء, ومع ذلك ما زال بعضهم يتحدث عن قيمة هذا الفعل الأخلاقي, أو هذا العمل الفني ....الخ.

ومعنى هذا فإن هناك قيما كثيرة أخرى غير القيم الاقتصادية, إذ يمكن أن نطلق لفظ قيمة على كل ما ترغب فيه, أو نسعى لبلوغه.

فالصحة قيمة , و الثروة قيمة , و النجاح قيمة.....الخ.

و لعل إعطاء معنى دقيق لمفهوم القيمة مسألة قد تكون في غاية الصعوبة, لأن مفهوم القيمة شأنها شأن جميع المفاهيم الفكرية الأخرى يحتمل تفسيرات شتى .

فالقيمة في اللغة العربية مشتقة من الأصل ق, و, م, وقد استعمل جذره للدلالة على معان متعددة و مختلفة , فالقيام نقيض الجلوس, يقال : قام يقوم قوما و قياما .

ويأتي القيام للدلالة على الوقوف والانتصاب, ويدل في معنى آخر على الإصلاح والمحافظة.

وقد تفيد الاستقامة معنى الاعتدال, يقال استقام الأمر له, وقام الأمر واستقام أي اعتدل واستوى، وقد تأخذ القيم أحيانا هذا المعنى الاستقامة.

يقول كعب بن زهير :

فهم صرفوكم حين جزتم عن الهدى بأسيافهم حتى استقمتم على القيم

وقوام الأمر بالكسر هو نظام الشيء, و عماده, و القوام حسن الطول, و قد تجمع قامة الإنسان على قامات وقيم, و يقال بأنه مقصور قيام و قد تغير لأجل حرف العلة.

لقد وجد الإنسان - منذ نشأته الأولى – نفسه وجها لوجه أما حقائق كونية و ألغاز ليس في مقدور فكرة معرفتها, ومن ثمة راح ينعم النظر لعل بصيرته تهتدي إلى حقيقة وجوده, وحقيقة الأشياء من حوله.

فلو ألقينا نظرة عجلا على الفكر اليوناني لوجدناه – مع تعاقب الأجيال – تمخض عن ظهور "أفلاطون" الذي أجهد فكره في البحث عن الحقيقة بواسطة المثل, وحاول أن يكشف أسرار الإنسان و كوامنه فجرد المادة, واقتصر على ماله علاقة بالروح و بالمثل الإنسانية العليا, لتبلغ الروح في عهده شأنا عظيما يحتل الصدارة.

مثلت القيم في حياة الإنسان - منذ الأزل- و ما زالت حفظ التوازنات الحياتية و تلك غاية سامية لا يدركها إلا الله.

قال ابن منظور:" و القيمة واحدة القيم, و أصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء, والقيمة ثمن الشيء بالتقويم, تقول: تقاوموه فيما بينهم, و إذا انقاد الشيء و استمرت طريقته فقد استقام لوجه".[1]

و قال آخرون أنها: هي الشيء الذي يقدر به المتاع . أي يقوم مقامه و منه التقويم و لهذا يقال : قومت السلعة أذا حددت قيمتها و قدرتها فأصبحت لها قيمة معلومة و قد قال الزجاج: " قرئت جعل الله لكم قيما و قياما, قال : و قد يفتح بمعنى الآية , التي جعلها الله لكم يوم قياما تقيمكم, فتقومون بها قياما, ز من قرأ قيما فهو راجع إلى هذا و المعنى, جعلها الله قيمة الأشياء فبها تقوم أموركم".[2]

و قال الفراء: "التي جعل الله لكم فيها قياما, يعني التي بها تقومون قياما و قواما ". و قرأ نافع المدني قيما والمعنى واحد.[3]

وفي ضوء ما سبق, تبدو القيم نسبية, و هذه النسبية ليست في القيمة - في حد ذاتها – ولكن في وجهة النظر حول هذه القيمة أو تلك, و هذا ما ترتب عليه – أحيانا – الإبهام بالقيم المتضادة أو المتناقصة. و بذلك نجد القيمة محددة في طرف, و ممقوتة في آخر, لاسيما إذا كان ما يترتب عليها بجلب الأذى للغير, و هكذا تظل القيمة ثابتة ما لم تتغير وجهة النظر حولها.

1– جدلية القيم في الشعر الجاهلي، بوجمعة بوبعيو، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2001، ص 272.

2– المرجع السابق، ص 28.

3– ابن منظور لسان العرب، مادة (قوم)، حرف الميم، فصل القاف، ج 11، دط، دت، ص326.

3- تعريف الإنسانية:

1- لغة: الإنسانية لفظ مشتق من الإنسان والإنس, والبشر, الواحد إنسي, وأنسي أيضا بالتحريك, ويقال أنس وأناس كثير, وأنس الشيء: أحسه, وأنس الشخص واستأنسه رآه وأبصره ونظر إليه. فلفظة إنسان تعني الإبصار و الظهور, وهي عكس الجن فهم يتوارون و يقول محمد بن عرفة الواسطي: "سمي الجن جنا لأنهم مجتنون عن رؤية الناس أي متوارون". فالظهر عكس الإخفاء, فأصل الإنسان من الإيناس والإبصار, كما يمكن لكلمة إنسان أن تعني النسيان وعموما نجد أن لفظة إنسان في اللغة تعني الظهور والإبصار والنسيان. [1] وهذا الظهور في الإنسان, يعني ظهوره في كل شيء, في أخلاقه وصفاته ومبادئه ولا يتوارى كما تفعل الجن, و أن توافق أفعاله أقواله, و ظاهره باطنه كما يفعل المنافقون و لهذا فالإنسانية لغة مشتقة من كلمة إنسان الذي يعطي الظهور والإبصار.

2- اصطلاحا: الإنسانية لفظ مشتق من الإنسان, كما ذكرنا سابقا, وهي تعني الظهور والنسيان فالظهور في كل شيء, أما النسيان فعلامة على وجود العقل, فهو الذي يتذكر وينسى والعقل عنصر فعال في الإنسان, ينبغي المحافظة عليه و استثماره جيدا لأن إهماله يعني فقدان جزء أساسي من الإنسانية. وقد كرم الله تعالى الإنسان و جعله من أفضل المخلوقات إلى درجة أنه أفرد سورة من القرآن الكريم باسمه و هي "سورة الإنسان" فلفظة الإنسانية مشتقة من الإنسان.[2]

أما فيما يخص تعريف هذه اللفظة اصطلاحا, فقد وجدنا تعريفات كثيرة و عديدة لهذا المصطلح, فالاصطلاح غير اللغة, وعلى هذا الأساس حاولنا جمع بعض التعريفات لهذا المصطلح وهذا بإيجاز فيما يلي: "الإنسانية تعني بكل ما اختص به الإنسان وأكثر استعمالها لمحامد الأخلاق و محاسن النفس من نحو الجود و الكرم الأخلاقي ...." [3]

1– سهام صيام، الإنسانية في رواية نجيب الكيلاني، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب الإسلامي، دط، 2001، 2002، ص 15.

2– المنجد في اللغة العربية المعاصر، المشرق، بيروت، لبنان، ط 2، 2001، ص 1397-1398

3– المرجع السابق، 1397-1398.

فالإنسانية تعني بالأخلاق الحميدة الموجودة داخل نفس الإنسان, هذا الأخير صاحب النفس الطيبة و المتحلية بالقيم الإنسانية التي جعلته أرقى المخلوقات غير أن هذه القيم تتفاوت من إنسان لآخر, فالمتحلي بها يقال عنه أنه ذات نزعة إنسانية. فالنزعة الإنسانية إذن هي ميل على معاملة الناس معاملة إنسانية وإلى صنع الخير لهم, أي محبة الخير العام.

4-مفهوم القيم الانسانية:

تمتلك الإنسانية مخزونا من القيم العالية و المبادئ السامية التي ما تمسك بها الإنسان ارتقت به إلى مصافي الملائكة بل و تجاوزته و متى ما انفك عنها و تنازل عن التمسك بها تردى مستواه و تسافل به إلى أخس الموجودات ، فالدين الإسلامي شأنه شأن الأديان السماوية أعطى أهمية بالغة بمنظومة المبادئ و القيم الإنسانية والهدف من ذلك هو ترسيخ هذه القيم لتأخذ طابعا إنسانيا في كل أبعادها و ثقافة متجذرة في العقل و الوجدان البشري وهو ما سيعكس لا محالة على ثقافة الفرد و سلوكه سواء على مستواه الشخصي أو على المجتمع ومن حوله.

فبعد ظهور العصر الجديد في تاريخ العرب بعد العصر الجاهلي و عصر الخلافة و البداوة تلاشت أساليب القهر و العنف وحملوا الفضائل و الخصائص الإنسانية الحميدة كهذه القيم: الشجاعة و البطولة وحب الحرية والمساواة و الكرم و الفروسية و التسامح كما تسلحوا بدين الإسلام الدين الجديد.

ومما لاشك فيه أن القيم الإنسانية ارتبطت بوجوده قوة خفية توظف بمقتضاها تلك القيم لخدمة الإنسان.

فهناك من الاشعار ما هو غني بمواقف إنسانية نبيلة، ويصور مآثر اجتماعية قد تندر في زماننا هذا، فهذا الشاعر مالك بن جريم الهذاني يفخر بآبائه وبشهامته التي هي شهامة كل بدوي حر أصيل وبذلك نقف عند صورة اجتماعية تمثل مثلا أعلى وقيمة إنسانية سامية:

وإني لأستحي من المشي ابتغي إلى غير المجد المؤثل مطمعا
واكرم نفسي عن أمور كثيرة حفاظا وان هي شحها أن تطلعا
وآخذ للمولى اذا ضيم حقه من الأعيط الآبي إذا ما تمنعا
فإن يك شاب الراس مني فإنني أبيت على نفسي مناقب أربعا. [1]

1- بوجمعة بوبعيو، جدلية القيم في الشعر الجاهلي، ص 32.

فواحدة أن لا ابيت بغرة إذا ما سوام الحي حولي تضوعا

وثانية أن لا أصمت كلبنا إذا أنزل الاضياف حرصا لنودعا. [1]

وثالثة أن لا تقنع جارتي إذا كان جار القوم فيهم مقذعا

ورابعة أن لا أخجل قدرنا على لحمها حين الشتاء لنشبعا.[2]

فالشاعر هنا لا يتردد في تقديم المساعدة لغيره، إذا دعت الحاجة إلى ذلك وأنه يرحب بالضيوف ويكرم حضورهم، فيقدم القرى، وتلك عادة الجاهلية الأصيلة وفضلا عن ذلك فهو لا يتوانى في دفع الأذى عن جارته، ولا يسمح بأن ترمي بالفاحشة وسوء القول من لدن جارها، ثم إنه لا يستر القدر، بل يهب للجميع دون الاستئثار به وحده، وفي ذلك دعوة إلى نبذ الانانية ورمز للسخاء الجاهلي وعطاءاته غير المحدودة.

وهذا يمثل القيم العليا و السامية التي تميز الإنسان بطبعه الميال إلى فعل الخير.

1- بوجمعة بوبعيو، جدلية القيم في الشعر الجاهلي، ص33.

[2]- بطرس البستاني، الشعراء الفرسان، دار المكشوف، بيروت- لبنان، 1966، ط2، ص9.

5- مفهوم التقابل في القيم الإنسانية:

يفهم في غالب الاحيان القيمة الإنسانية بمفهومين متناقضين أو متضادين ذلك أن هناك معطيات خارجية تجعل من بعض تلك القيم نقيضتها تعيش داخل نفس هذا الإنسان حيث تقتضي الضرورة أن يبدل قيما حسنة بقيم سيئة حفاضا على وجوده.

فقد انتشرت في الأهالي في العصور السابقة قيم ميزتهم عن العديد من العصور الاخرى، فبغض النظر عن الدين والعقيدة أنداك فاختلفت القيم فمنها ما هو أخلاقي وخير و منها ما هو شر: مثلا قيمتي الكرم ǂ والبخل .

مثلا كان الجاهلي يضع صفة الكرم والسخاء موضع الصدارة والقداسة في حياته، فإن مثل هذا الكلام لا يأتي إلا حين يحس أنه حر سيد، وانه مستقل في أخذ القرار فحينئذ يصبح الكرم واجبا، ولكنه قد يبدو بخيلا شحيحا سفاكا للدماء عندما يجد مبررا لذلك، كأن يستتاح في حماه أو يمس في عرضه، أو في كرامته بوجه علم وقد يقودنا ذلك إلى دلك إلى القول إن الإنسان الجاهلي كان شديد الاعتداد بنفسه محبا للافتخار ثم إنه يعيش غالبا في كنف قبيلة صغيرة عمادها خيام منصوبة هنا و هناك، بجانب الماء والكلأ، فإذا جف المرعى وقل الماء سارع إلى اقتلاع أوتاد الخيام وراح ينتجع أماكن أخرى وهو في هذا الحل و الترحال مضطرا لغزو القبائل الأخرى وسلب ما عندها.

كما أن الكثير من الشعراء قد انقطعوا عن قبائلهم على الرغم من اعتزازهم بها، لكنهم وجدوا أن القاموس الذي تضعه قبائلهم لا يتناسب وقيمهم وأخلاقهم لذى كان من الواضح ان نرى أن الإنسان يستطيع الخروج عن قيمه وإبدالها بقيم أخرى حتى ولو كانت سيئة.[1]

1– بوجمعة بوبعو، جدلية القيم في الشعر الجاهلي، ص 32.

المبحث الثاني: الصعلكة

1/ تعريف الصعلكة:

أ- لغة:

في لسان العرب " الصعلوك: الفقير الذي لا مال له".[1]

زاد الأزهري "ولا اعتماد"

وقد تصعلك الرجل إذا كان كذلك

قال حاتم الطائي:

غنينا زمانا بالتصعلك والغنى فكلا سقانا بكاسهما الدهر

فما زادنا بغيا على ذي قرابة غنانا ولا أزري بأحسابنا الفقر

فقد بين في هذين البيتين أن التصعلك نقيض الغني، وأنه الفقر وأنه حال من حالي الدهر.

فالصعلكة وهي حياة الفقر إحدى كاسي الزمن ، وقد يسقى المرء أحداهما، وقد يسقى كذلك كأس الغني أو يداول بين الكأسين.

وتصعلكت الإبل: خرجت أوبارها، وانجردت، وطرحتها

ورجل مصعلك الرأس: مدوره.

ورجل مصعلك الرأس: صغيره، وأنشد:

بخيل في المرعى لهن بشخصه مصعلك أعلى قلة الرأس يقفق

وقال شمر: المصعلك من الأسنة : الذي كأنما *حدرجت أعلاه حدرجة، كأنما صعلكت أسفله بيدك، ثم مطلته صعدا أي رفعته على تلك **الدملكة، وتلك الاستدارة.[2]

وقال الأصمعي في قول أبي دؤاد يصف خيلا:

قد تصعلكن في الربيع وقد قـــ رع جلد الفرائض الأقدام

قال: تصعلكن: دققن، وطار عفاؤها عنها، والفريضة: موضع قدم الفارس

---

* حدرج: نتل وأحكم.

** والدملكة: الاستدارة والملاسة والفتل.

[2]- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، لسان العرب المحيط، قدم له النصح عبد الله العلايلي، وأعاده على الحرف الأول في الكلمة: يوسف خياط، مج 2، بيروت، دار لسان العرب، دط، دت، مادة (صعلك) ص 443-444.

وقال شمر: تصعلكت الإبل إذا دقت قوائمها من السمن, وصعلكها البقل.

و صعلك الثريدة: جعل لها رأسا, و قيل: رفع رأسها .

والتصعلك: الفقر.

وصعاليك العرب: ذؤبانها.

وجاء في القاموس المحيط:"صعلكه: أفقره و الثريدة جعل لها رأسا أو رفع رأسها .

وصعلك البقل: سمنها و رجل مصعلك الرأس: مدوره, و الصعلوك كعصفور: الفقير، وتصعلك: افتقر والإبل طرحت أوبارها.[1]

من هذا النص اللغوي الذي سجله ابن منظور في لسان العرب, و الذي سجله مثله غيره من علماء اللغة في معاجمهم, نستطيع أن نتبين أصلا عاما للمادة تشترك فيه معانيها المختلفة, وتدور حوله, و هو الضمور والانجراد.

ونستطيع في سهولة و يسر أن نرد كل معاني المادة إلى هذا الأصل العام:

فالإبل تتصعلك إذا انجردت أوبارها و طرحتها.

فالصعلكة إذا في مفهومها اللغوي الفقر الذي يجرد الإنسان من ماله, فيظهره ضامرا هزيلا بين أولئك المترفين الذين أتخمهم المال و سمنهم.

و نرى في بيت حاتم الطائي ذكره لكلمة الفقر في البيت التالي مرادفا للتصعلك:

فما زادنا على ذي قرابة غنانا و لا أزرى بأحسابنا الفقر. [2]

[1]– الفيروزبادي، القاموس، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط8 ، 2005، ص946.

[2]– الشعراء الصعاليك، يوسف خليف، ص 22،21.

ب- اصطلاحا:

إن الصعلكة في عرف التاريخ الأدبي هم جماعة من مخالفين العرب الخارجين عن طاعة رؤساء قبائلهم. و قد تطورت دلالة هذا المصطلح بحيث أصبح يدل على طائفة من الشعراء ممن كانوا يمتهنون الغزو و السلب و النهب فالتصعلك و الصعلكة يدلان في وضوح لا لبس فيه على الفقر كما ورد في هذا البيت:

فما زادنا بغيا على ذي قرابة غنانا و لا أزري بأحسابنا الفقر

"فالشاعر هنا يقر بأن أسباب التصعلك هو الحاجة و سبب المشاكل مع الأقرباء هو الفقر نفسه". [1]

و نجدها أحيانا خارجة عن نطاق الفقر تماما إذ تعني في بعض المواضع الشعب و الإنارة التي يمارسها أبناء الليل أي السلب و النهب و هذا ما يحمله العامة من معرفة عن الصعلكة كما علنا أن الشاعر الكبير الجاهلي امرؤ القيس و أراد يوما أن يثأر من بني أسد فأخذ يجمع الشعراء مجموعة من فقراء العرب فاستغله في هذه المهمة و هذا ما يعطينا استنتاجا أن هؤلاء الفقراء جراء ظروف حياتهم الصعبة, واكتسبوا شجاعة و سرعة وقوة وهذه الصفات من بين ما يميز الصعاليك. أما إذا عدنا إلى استخراج المفاهيم من المعارف السابقة فإننا نجد أن الصعلكة هي مصطلح يتعلق بأحوال العاملين بها.

1- الشعراء الصعاليك، يوسف خليف، ص 24.

فالصعلكة ولدت بشكل طبيعي لتعبر عن التناقض الكامن في المجتمع العربي وتنبئ عن تردي الواقع اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا.

إذا انقسم المجتمع على طبقات اجتماعية فضلا على انقسامه على طبقتين اقتصاديتين:

طبقة تملك الأموال وهي المسيطرة على مظاهر الحياة بكل ألوانها وأشكالها.

وأخرى قصيدة معدومة تعيش على هامش الحياة.

كما أسهم البناء الاجتماعي في تعميق الفوارق الحادة في طبقات المجتمع، مما دفع إلى ظهور الصعلكة بوصفها ظاهرة اجتماعية جديرة بالدرس و التأمل. [1]

فإن الصعلكة بوصفها ظاهرة اجتماعية متمردة في المجتمع تولد في احد جوانبها من عدم امكان تعايش الفرد إطار القبائل العربية بأنظمتها و قوانينها.

ولدى تميز شعر الصعاليك بالتعبير عن الأنا، وتتجلى ملامحها واضحة إزاء النحن المتمثلة في القبيلة شعورا بالاعتلاء والتفاخر بالخصائص الفردية.

إذ يصبح ضمير الفرد (أنا) أداة التعبير فيه بدلا من ضمير الجماعة (نحن) الذي هو أداة التعبير في الشعر القبلي وتصبح المادة الفنية للشعر مشتقة من شخصيته هو لا من شخصية قبيلته.

1– البنية السردية في شعر الصعاليك، ضياء غني لفتة، دار الجامد للنشر والتوزيع، ط 1، 2010، ص 17.

إن الصعاليك اعتمدوا على كسر طوق الأشياء الذي يحمي وجودهم، فقطعوا كل أواشج القربى بينهم وبين ذويهم.

واعتقدوا أنهم قادرون على بناء نظام جديد، ولكن ما يبنى على خطأ لابد أن ينتهي إلى الانقراض، وإذا وجد بينهم أمثال "عروة بن الورد" الذي اهتم بغزو الأغنياء لحساب الفقراء.

فلا يعني هذا أن الصعاليك كفرقة اجتماعية كانوا قادرين على تكوين انتماء جديد كبديل من الانتماء السابق لكل فرد منهم وأيا كان تمرد الصعاليك فإنما يؤكد قضية واحدة لا ثاني لها، هي ظاهرة الانتماء واثبات مظهر الانعتاق من خلالها.

وان بدأ بشكله السلبي لا الإيجابي ويظهر العجز في اظهار الانتماء الجديد من خلال قلة الامن والطمأنينة.[1]

فالصعلوك يعيش خوفا وقلقا مستمرين ويقول: " أبوبكر الهذلي ": يخاطب زهيرة موطنا إياها على الصبر وبأنها ليست أول فتاة تفقد أباها:

أزهير هل عن شيبة من مصرف أم لا خلود لباذل متكلف

أزهير ان اخا لنا ذا مـــــــــــرة جلد القرى في كل ساعة محرف

فارقته يوما بجانب نخلـــــــــــة سيق الحمام به زهير تلهفي

لذا يحن الصعلوك لوطنه وذويه متلهفا على ذكرياته يقول "قيس بن عيزارة":

سقى الله ذات الغمر وبلاد وديمة وجادت عليها البارقات اللوامع.

1- البنية السردية في شعر الصعاليك، ضياء غني لفتة، ص 18.

ها هي مقناة أنبق نباتها مرب فترعاها المخاض النوازع
لها مجلات سهلة ونجادة دكادك لا توبى بهن المراتع
كان يلتجوجا و مسكا وعنبرا باشرافه طلت عليه المرابع

ان الشعراء الصعاليك لا يمثلون ظاهرة اجتماعية شاذة في مجتمعهم القبلي في العصر السابق للإسلام، لأن القبيلة –في حد ذاتها- وفي صراعها مع الحياة قد تلجأ إلى ما يلجأ إليه الصعاليك أنفسهم كأن يغزوا أو ينهبوا أو يسلبوا للغايات والأهداف والوسائل نفسها التي يصبوا إليها الصعاليك فالاختلاف قد ينحصر في أن عمل الصعاليك فردي أو مجموعة من الأفراد تعتمد نظاما معينا.

في حين أن عمل القبيلة عمل جماعي منظم، وبذلك لا يبدو هناك تناقض في الطريقة. فالقبيلة هي التي خلقت في نفوس أبنائها من الصعاليك هذه الظاهرة، لأنها في الواقع مرتبطة ارتباطا وثيقا بالصراع من أجل البقاء ولكن تنامي الاحساس بالعصبية القبلية يأخذ بالتناقض لدى الصعاليك لقد طغت الصعلكة في العصر السابق للإسلام حتى كادت تكون واضحة لمن ينظر إلى ذلك المجتمع .[1]

إلا أنه بعد مجيئ الإسلام نلمس أن هذه الظاهرة قد اختفت أو كادت تختفي سواء ما ظهر من قطع الطريق أو الغارات وما بطن من أساليب الفتك واللصوصية، فقد كاتبهم الرسول وآمنهم أن آمنوا وأقاموا الصلاة وصدقوه "فعبدهم حر ومولاهم محمد ومن كان منهم من قبيلة لم يرد إليها، وما كان فيهم من دم أصابوه أو مال أخذوه فهو لهم، وما كان من دين في الناس رد إليهم ولا ظلم عليهم ولا عدوان".

لقد حدد النقاد اختفاء الصعلكة حيث ذكر الدكتور "حسين عطوان" "الأموال التي أجرتها الدولة للفقراء مما ضمن لهم أسباب المعاش ولم يعد من شأن القبيلة أن تخلع ابنها تخلصا من جرائره".

1– البنية السردية في شعر الصعاليك، ضياء غني لفتة، ص 18.

إن تعدد الشعراء الصعاليك أدى إلى تعدد أسباب التصعلك و هذا الأخير أدى بدوره إلى تعدد المفاهيم, فتجدها أحيانا بمفهوم الفقر و الحاجة و الاضطهاد من نبل الأغنياء و الأسياد.

و أحيانا يرد مفهومها بمحض الصدفة أو الإجبار إذ لا مفر لإمرئ و قد أبيدت جميع أفراد قبيلته إلا العيش في هذه البيئة.

و نجدها أحيانا أخرى مسلك بغية كسب القوت و الثأر و في مواضيع أخرى تحمل معاني معبرة عن الإنسانية و رفض الذل و المهانة و إعانة الفقراء دفاعا عنهم و توعية لمن هم في ديارهم مضطهدين.

من خلال هذه المفاهيم المتعددة و المتعلقة بالصعلكة قد تشارك فيها عدة أسباب تكون خلقية وأخلاقية كسواد اللون و الفقر.[1]

فالصعلكة ظاهرة اجتماعية برزت على هامش الحياة الجاهلية كرد فعل لبعض العادات والممارسات و استمرت الصعلكة ردحا من الزمن.

والصعاليك هم جماعة من الفقراء اللصوص انتشروا في الجزيرة, خرجوا عن طاعة رؤساء قبائلهم و لم يخضعوا للأعراف القبلية بل تمردوا عليها و لم يتقيدوا بالتزام القبيلة.

وإلى ذلك عرف هؤلاء الصعاليك بجرأتهم و إقدامهم على اقتحام المهالك و يمتازون بالشجاعة والصبر و سرعة العدو فكانوا من العدائين الذين لا يجارون في سرعة عدوهم, فالحياة والموت سواء في نظرهم وكانوا يغيرون على البدو والحاضر.

1- البنية السردية في شعر الصعاليك، ضياء غني لفتة، ص 19.

2/ مفهوم شعر الصعلكة:

فالصعاليك طائفة برزت في عصور مختلفة بين طوائف مختلفة من الشعراء وحققت حضورا ملموسا في الحياة العامة مثلما أسهمت في تسجيل جوانب من معالم هذه العصور.
و على الرغم من فهم المجتمع لطبيعة طائفة الصعاليك و سلوكهم و حديثه عنهم في اتجاه واضح, فقد رأينا في تعريفهم للصعلكة قصورا و شيئا من ميوعه أتاح المجال لذبذبة المفهوم وخضوعه للاستنتاج, فقد كانت هناك جوانب موضع اتفاق بينهم حول الألفاظ التي تدور في فلك الصعلكة, فهناك ألفاظ لم يختلفوا في أنها مترادفة في أدائها لمفهوم الصعلكة العرفي حيث جعلوها تدور في فلك واحد, و نرى في كتب المعاجم وفي كلامهم عن الصعاليك يقولون أنهم ذؤبان العرب, و نذهب إلى ذؤبان العرب, من هم؟ فيقولون: إنهم صعاليك العرب, ومن الصعاليك العرب؟ فيقولون: هم الذين يتلصصون أو هم لصوص العرب, وقيل لهم "الشطار" أو "الشاطر" وهو الذي أعيب أهله و مؤدبه خبثا و مكرا و لعل من الصفات الأكثر شيوعا لفظ "الفتك" و الفاتك و شيطان شاطر و هذه ألفاظ وصف بها الصعاليك.
فليس لقصور هذه الألفاظ في الدلالة على الصعلكة, و كان الفارق بينهما و بين ألفاظ صعلوك, و ذئب, ولص, أن هذه الثلاثة لا تطلق إلا على اللذين اتخذوا من الصعلكة حرفة أو مهنة دائما.
أما ألفاظ فاتك و شيطان و نحوهما, فتطلق لمزاولة أسلوب من أساليب الصعاليك, سواء صدر من صعلوك محترف للصعلكة أم من غيره.
و قد ذكر أن صعاليك العرب هم "ذؤبان العرب". [1]
كما يرى الفيروزابادي والجوهري أن اللصوص من بينهم وحدوا "اللص"

1– شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، عبد الحليم حنفي، الهيئة المصرية للكتاب، دط، 1987، ص 35،36.

وبمن تكررت سرقته أو اتخذها مهنة يعيش منها و هذا ما درسه "يوسف خليف" و فصل فيه تفصيلا دقيقا وإن كانت محاولته لتحديد مفهوم الصعلوك من الجانب الاصطلاحي وشابها غير قليل من التداخل الذي أدى إلى الاضطراب.

فهو تارة يجد الصعلوك بـــ"الفقير الذي له يستعين به على أعباء الحياة و لا اعتماد له على شيء أو أحد يتكئ عليه أو يتكل عليه ليشق طريقه فيها و يعينه عليها".[1]

ثم يذكره تارة أخرى أن هؤلاء الشعراء ليسوا أولئك الفقراء المعدومين الذين يقتنعون بفقرهم والذين يستنجدون الناس ما يسدون به رمقهم بل هم أولئك المشاغبون أبناء الليل الذين كانوا يسهرون لياليهم في الإغارة و الغزو من أجل سلب الأموال و نهبها.

و الذين اتخذوا من هذه الأساليب الحرفة التي قامت عليها حياتهم "و الأسلوب الذي انتهجوه فيها لتحقيق غاياتهم".

و يبدو واضحا أن هذا الاضطراب في تحديد الاصطلاح الأدق لهذه الطائفة مرده علماء اللغة الأقدمون أنفسهم, الذين رادفوا بين الفاتك والصعلوك, والفارس واللص والذؤبان أو بين الراغب في القتل المقدم عليه بمحك الإرادة والتصميم, و لأسباب تختلف اختلافا كليا عن المقدم على القتل وسلوك سبيل من أجل الحصول على لقمة العيش وعبر الإغارة والغزو وأساليبها.

1– البنية السردية في شعر الصعاليك، ضياء الدين غني لفتة ، ص 28.

ونجد الدكتور "حسين عطوان" قد اعتمد في نعته هذه الطائفة من الشعراء بـــ"الصعاليك" على عدد من الدراسات التي استعان بها و أفاد منها.

والتي جعلته يقرر أن الصعلكة قد ضعفت ضعفا شديدا وإذ أزال الإسلام أسباب وجودها حين ساوى وجودها بين الناس و أعطى لكل حقه و وفر عليه خطة من الحياة الكريمة, ووضع القواعد و القوانين الشرعية لمحاسبة المفسد في الأرض و غير أولئك من المخالفين لشريعة الإسلام لكنه لو يجزم بأمر توقفها أي الصعلكة توقفا تاما في عصر صدر الإسلام الذي جعل في استعراضه لحركة الصعلكة مدخلا لدراسة صعاليك العصر الأموي من الشعراء.

إذ توقف عن عدد من الشعراء الذين ضلت رواسب الصعلكة تظهر بوضوح عندهم لعدم تعمق الإسلام في نفوسهم و عدم استقامة سلوكهم معه.

و مثل لهم بـــ "أبي الطمحان القيني" و "فضالة بن شريك" و "شبيب بن كريب الطائي" و"حسكة بن عتاب التميمي"....الخ.

الذين "اقصر بعضهم عن التصعلك القائم على الإغارة والغضب "بقي في أنفسهم شر كبير عبروا عنه بمواصلة هجاء الآخرين و هو عند الدكتور "عطوان" أهم مظهر من رواسب الصعلكة.[1]

بينما استمر بعضهم الآخر في التصعلك القائم على سلب الناس أموالهم و قطع الطريق.

في حين يرى الدكتور "إحسان سركيس" إن الصعلكة اختفت في صدر الإسلام لانتفاء ما أسماه بـــ "الدواعي الحادية عليها" و لاستقرار سلطة الخلافة الراشدية.

و ثمة رأي آخر قال به عبد المعين الملوحي مفاده "اسم الصعاليك أطلق على لصوص العصر السابق للإسلام, و إن أسلوب اللصوص استمر في عصر الإسلام و العصر الأموي" مشيرا إلى أنهم سموا بهذا الاسم لأسباب دينية

1- البنية السردية في شعر الصعاليك، ضياء الدين غني لفتة ، ص 30.

وإنما أصبح من حق الدولة أن تقيد الحد عليه, و تنزل العقاب به, إذ حدد القرآن الكريم عقوبة شاهد السلاح وقاطع الطريق مثلا بالقتل والصلب والنفي.

وإما الأغربة السود من أبناء الإمام فقد سوى الإسلام بينهم و أعطاهم الحقوق والواجبات نفسها التي أعطاها لغيرهم.[1]

و هي أسباب ترجع في حملتها إلى النظم المتكاملة التي جاء بها الإسلام فضلا عما ذكره الدكتور أحمد أمين.

إن الفتوح الإسلامية أتاحت أمام الصعاليك الفرصة لإثبات وجودهم و شجاعتهم في مجال مشروع يكسبون الرزق من خلاله و بذلك تغيرت النظرة إلى الصعلكة بعد الإسلام , فبعد أن كانت مجالا للتنافس و موضوعا للإعجاب من أصحابها' أصبحت موضعا للإنكار بعد أن أزال الإسلام الظروف المؤدية لها.

ولعل أبرز ثأر الإسلام في الصعاليك شيوع التوبة في إخبارهم كما يتضح ذلك عند الأحمير السعدي, الذي كان يهدد التجار و القوافل فيقول:

أشكو إلى الله صبري عند زواملهم و ما الآقي إذا مروا من الحزن

قال اللصوص بني اللخناء يحتسبوا بز العراق و ينسوا طرفة اليمن

1- البنية السردية في شعر الصعاليك، ضياء الدين غني لفتة ، ص23.

3/ أسباب الصعلكة:

أشرنا إلى أن طائفة الشعراء الصعاليك التي ظهرت في العصر السابق للإسلام كانت تلتقي على حالة مهمة في حياة العرب آنذاك، وهي حالة "فقد الإحساس بالعصبية القبلية".

ولأن كل قبيلة كانت تقوم على إيمان أفرادها بوحدة قبيلتهم، كونها الكيان الاجتماعي الذي يلتقي عنده هؤلاء الأفراد، فقد انفصل عنها من خلعتهم منها أو اشد عنها بينما كان إفراد كل قبيلة بنقاء جنسها مدعاة لوجود أغربتها فضلا عن تجارة الرقيق.

وكان التباين الاجتماعي بين أفراد القبيلة، وكذلك التباين الاقتصادي بينهم من حيث درجة الغنى والفقر عاملين آخرين من عوامل ظهور الصعلكة في الجزيرة العربية.

ولا سيما في مراكز المدن التجارية الرئيسية، وفي مقدمتها مكة التي كانت تملك دورا آخر -فضلا عن دورها التجاري- وهو دورها الديني المعروف إلى اليوم مما أسهم في ظهور الخلعاء والأرقاء السود الذين كانوا أسرع في الاستجابة للدعوة الاسلامية، وعندما ظهرت بينها على حد قول الدكتور "عبده بدوي" [1] في حين رد "إحسان سركيس" "ظهور الصعاليك في العصر السابق للإسلام إلى ما أسماه بعدم إدراك أهليهم أو قبيلتهم نفسياتهم، مما سبب نفورهم منهم وخروجهم على طاعة مجتمعهم وهروبهم منهم".

وهو يتباين تماما مع جميع الاسباب والعوامل الاجتماعية والاقتصادية التي قالها الدارسون الآخرون، بدليل أنه يعود فيشير إلى أن متأمل اخبار الصعاليك وإشعارهم بلفت نظرة شعور حاد بالفقر واحساس مرير بوقعه على نفوسهم وشكوى صارخة من هوان منزلتهم الاجتماعية وعدم تقدير المجتمع لهم وهذه العوامل الحقيقية وراء ظهورهم فضلا عن عوامل أخرى سرعان ما يوردها بعد ذلك بقليل.

يتناولها من زاوية اقتصادية على الأغلب، مع تداخلها مع الزوايا الاجتماعية والنفسية ليقرر بعد ذلك أنهم جميعا "فقدوا توافقهم الاجتماعي"

1- البنية السردية في شعر الصعاليك، ضياء الدين غني لفتة ، ص33.

وأن فقدان هذا التوازن ينتهي بالفرد عادة إلى تكوين صلته بمجتمعه قائمة على أساس ما يسميه بـــ (السلوك الصراعي)

منبها على ضرورة عدم الاستهانة بمن يدعوهم بالراغبين في اعادة شكل التوافق الاجتماعي من جديد. حتى ولو كانت وسيلتهم إليه غير مجدية. في حين أرجع الباحث "فاضل بنيان" الصعلكة إلى عامل يقترب من الفقر وهو الطبيعة.

إذ أن قسوة الطبيعة في زمن الجفاف ساعدت على ظهور الصعلكة كرد فعل على تلك القسوة، لذلك جاء شعرهم مصدقا لذلك.

ولم تختلف الاسباب التي ذكرها الدكتور "زكي مبارك" إذ يرى " أن صراع الصعاليك جاء تمردا على الاوضاع القبلية التي جعلتهم يشعرون بالضيق الاقتصادي، فكان عليهم الاعتماد على أنفسهم بالأسلوب الذي يختارونه.

وقال الدكتور "جواد علي" " بالعامل النفسي، وعدم قدرة أهلهم وقبائلهم على إدراك نفسياتهم، مما سبب نفورهم منهم، وخروجهم على طاعة المجتمع"

تلك هي أبرز العوامل التي أسهمت في ظهور طائفة الشعراء الصعاليك مثلما رآها وحددها الدارسون السابقون.

وهي عوامل ظهور ترادف بعضها، وبدت أشبه بالقواسم المشتركة لظهور طائفتي صعاليك العصر السابق للإسلام والعصر الأموي.

ولاسيما عامل الفقر الذي كان واحدا وإن اختلفت أسبابه ودوافعه، ومثله عامل ظهور فئة الموالي الجديدة والذي كان مقتصرا على الأغربة السود من أبناء الإماء الحبشيات والزنجيات.

وصار عاملا يندرج تحته أبناء البلدان التي فتحتها جيوش الفتح الإسلامي في بلاد فارس وبلاد الروم وفي مصر وشمال إفريقيا مثلما أشار إلى ذلك كثير من الدارسين والمحدثين وان تباينت آراؤهم بشان هذه القضية واختلفت اختلافا كبيرا.

أما بالنسبة للعوامل الاخرى فإن ثمة فوارقا نجمت عن العوامل الجديدة التي وجدت في العصر الاموي ومنها: العامل الديني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي وهي عوامل طرأت عليها مستجدات مهمة انعكست على طبيعة الحياة العامة في المناطق المدنية. والمناطق القروية والبدوية حتى ان الدكتورة بنت الشاطئ نظرت بتحامل واضح إلى أثر هذه العوامل في المجتمع العربي في هذا العصر فحسب وإنما في مسيرة الحياة الادبية فيه، وفي الاتجاهات الفنية التي شكلت ملامحه.

وإنما تعترف بما كان للخلفاء من نصيب في ازدهار الشعر ورواجه وهي حقيقة لا يمكن إغفالها أو انكارها بأي حال.

بينما رد "احسان سركيس" الصعلكة إلى العوامل الجديدة، وما أحدثته من متغيرات اجتماعية سياسية في البنية المكونة للحياة في هذا العصر.

و من ثم ايجادها شعر ذا طابع خاص يماثل شعر الصعاليك في العصر السابق للإسلام.[1]

1- البنية السردية في شعر الصعاليك، ضياء الدين غني لفتة ، ص36.

I4 أبرز الخصائص المميزة لشعر الصعاليك:

- بروز النزعة القصصية في أشعارهم نظرا لتعبيرها عن حياتهم الحافلة بالتجارب والمغامرات.
- عدم اهتمامهم بتجويد أشعارهم ومراجعتها وتنقيحها بسبب حياتهم القلقة.
- تخليهم عن التقاليد والأعراف الشعرية المألوفة في بناء القصيدة الجاهلية، لأنهم اختاروا الخروج على العرف الاجتماعي وبالتالي الخروج على العرف الشعري.
- تنتمي غالب قصائدهم إلى بحر الرجز ذي الإيقاع السريع، وهو ما يناسب حياتهم المتسارعة، وباعتبار بساطة وشيوع هذا البحر بين الناس.
- كثرة شعر المقطوعات، وميلهم إلى الإيجاز، ووحدة الموضوع في القصيدة الواحدة.
- أنه يصور ضربا من الأخلاق والنزعات لا نجده في غيره.
- شعرهم يصور نفسياتهم وأعمالهم، فهو صدى الواقع.
- يتميز شعرهم بوحدة الموضوع، فليس فيه مقدمات تمهيدية من غزل وبكاء اطلال ووصف لرحيل أو رواحل أو استطراد إلى موضوع آخر.
- أكثر شعرهم مقطعات لا قصائد، ولعل مرد هذا إلى أنهم ذوو خفة وسرعة واختلاس، لم يألفوا التمهل والتروي والتخفيف، فجاء شعرهم صورة من حياتهم.
- ليس في شعرهم غزل، وكيف يتغزل من يقضي نهاره يترقب، وليله يترصد ولا يستقر في مقام.[1]
- يكثرون من توجيه الخطاب في شعرهم إلى زوجاتهم.

1– ديوان عروة بن الورد، أسماء أبو بكر محمد، شرح وتحقيق، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1998، د ط، ص 40،41.

1- التعريف بالمدونة:

لعروة بن الورد ديوان طبع أكثر من مرة شرحه "ابن سكيت" (ت 242هـ).
وحققه الأستاذ "عبد المعين الملوحي" والكثرة المطلقة من شعر عروة إنما هي طوافة في الأرض لكسب الرزق, وفي وصف نجدته للفقراء وتوزيع المال عليهم وفي دعوته إلى نبذ السؤال والتماس الرزق من حد الحسام.
وتبقي أبيات قليلة استأثر أكثرها بوصف نفسه وشجاعته وبقيت ثمالات لمدح ولعتاب قد يعنف حتى يقرب من الهجاء ويرق حتى يصبح تعريضا حقيقيا.
كما بقيت بقايا يرد بها من غيره بأمه أو يصف بها بعض الغارات التي كان يغيرها مع قبيلته أو يشكو بها من أحسن إليهم فأساءوا إليه.
أو يحن بها إلى إحدى زوجاته مطيلا مرة, موجزا مرة...
أما الوصف فقد ضمنه ثنايا أحاديثه كلها على هذا النحو صور الأستاذ "منذر شعار" ديوان عروة ولخص أغراضه وحسبنا من هذه الأغراض الصعلكة, الفخر والحكمة.
ولعل أظهر الأغراض في شعر عروة الإغارة على الأغنياء لانتهاب أموالهم, ووهبها الفقراء بلا جزاء ولا شكور.
وفي هذا المسلك تبلغ الصعلكة غاية النبالة والسمو, إذ تتجرد من الأطماع وتغدو عملا إنسانيا شريف المقاصد يشبه إلى حد بعيد ما تفعله أرقى المؤسسات الإنسانية الدولية في إرسالها الأقوات إلى الأقطار الجائعة.[1]
وأحسن ما في الصعلكة عروة ارتياحه للبذل, وإيثاره الذي يبلغ حد التضحية المفرطة, فهو يأبى أن يصيب من إناء لا يؤاكله فيه ضيف ويكره السمنة, لأنها آية الجشع ويباهي بصفرة الوجه لأنها لا تغشى إلا وجه ليشبع الآخرون ولهذا قسم ما له بين المعتفين وقنع بجرعة من ماء بارد:

1- عبد الحليم حنيفي، شعر الصعاليك، منهجه وخصائصه، ص600

إني إمرؤ عافي إنائي شركة * وأنت إمرؤ عافي إنائك واحد*. [1]
أتهزأ مني سمنت وأن ترى بوجهي شحوب الحق والحق جاهد**. [2]
أقسم جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد***

ومن خصائصه التي أشار إليها الدكتور "يوسف خليف" السهولة والوضوح والبساطة إذ قال: "وأخص ما يتميز به أسلوب عروة في شعره أنه أسلوب شعبي فهو من سهل اللفظ بالقياس إلى شعر سائر الصعاليك وواضح المعنى وقريب التعبير لا تكلف فيه ولا تصنع ثم البساطة في عرض الشاعر لمعانيه, ذلك العرض السهل الذي لا يقبل معارضة أو يثير جدلا, والذي ينفذ إلى النفس من أقرب السبل"

وإلى هذه الخصائص أضاف الأستاذ "منذر" شعار خصائص أخرى فقال "شعر عروة حلو سائغ, وهو إلى حلاوته متين القافية, رصين التركيب فيه نصيب من التصوير....وفيه حركة وحياة.

ويقول "حنا الفاخوري": " وهو أدب إنساني في عاطفته وغايته, وإن كان ميكافيليا في أساليبه, وهو يروقنا بتعاطفه ولاسيما نزعته الاشتراكية الساذجة المرتكزة على محبة الغير والحب ذوي البؤس".

مكانته:

لم يصب "عروة بن الورد" ما أصاب من شهرة لفحولة من شعره أو لبراعة في فنه, فقد كان واحدا من شعراء كثر تتجاوب أصداؤه بين جنبات الجزيرة العربية.

أما شخصيته الفذة وخلقه الرفيع وكرمه الناذر قبل كل شيء ثم إلى شعره بعد ذلك وإلى ما فيه من صدق وفطرة وإخلاص وعفوية ومما يميز "عروة" أن أخلاقه السامية لم تبق دفينة في نفسه مكتفية بتوجيه سلوكه وتصرفاته بل كانت تفيض عنه شعرا سهلا محببا فتشكل مدرسة يتعلم فيها أبناء "عبس" حسن السلوك.

---

* عافي إنائي بشركة: أي يأتني من يشركني فيه، * عافي إنائك واحد: أي تستأثر به لنفسك * جاهد: يجهد

* * فراح الماء: الماء الذي لا يخالطه لبن أو غيره. *** الماء البارد: أي في الشتاء

[1]– غازي طليمات وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي (قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه)، مكتبة الإيمان ودار الرشاد، دشمق، حمص، 1992، ط1، ص466-467.

[2]– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الادب القديم، دار الجيل بيروت ، لبنان، 1986. ط1. ص 173.

يروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للحطيئة:" كيف كنتم في حربكم تاركا ألف جازم قال وكيف؟ قال كان فينا:"قيس بن زهير" وكان حازما وكنا لا نعصيه وكنا نقدم أقدام "عنترة " وتأتم بشعر عروة بن الورد تنقاد لأمره "الربيع بن زياد"

وإضافة إلى هذه المميزات والخصائص قول "منذر شعار" :" شعر سائغ وهو إلى حلاوته متين القافية, رصين التركيب, فيه نصيب من التصوير وفيه حركة وحياة ".[1]

ولقد سبق أن طبع ديوان عروة بن الورد العبسي, أمير الصعاليك أكثر من مرة نذكرها فيما يلي: نشره نولدكه سنة 1863م في ثلاثة وتسعين صفحة(93) مع ترجمة ألمانية لمضمونه.

نشر ضمن مجموعة شعرية بعناية السيد "أمين زيتونة" من المطبعة الوهبية بالقاهرة 1876م.

طبع في القاهرة سنة 1923م.

شرح الديوان "محمد بن أبي شنب" في الجزائر سنة 1926م.

شرح الديوان "كرم البستاني" في بيروت عن دار صادر 1964م.

شرح الديوان "عبد المعين الملوحي" في القاهرة 1966م.

لعروة بن الورد ديوان طبع في غوتنجن مع ترجمة ألمانية 1864م.

كما يحتوي ديوان عروة بن الورد على عدة قوافي كقافية حرف الباء:

أكلمكم مختار؟ !(.)

أيا راكبا !! إما عرضت فبلغنا بني ناشب عني, ومن ينتشب. [2]

أكلمكم مختار دار يحلها وتارك هدم ليس عنها مذنب

كان في قيس !!

لا تلم شيخي فما أدري به غير أن شارك هذا في النسب

1– غازي طليمات وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي، ص 580.

* ينتشب: أي ينتشب الى مني ناشب وهي قبيلة من عبس.

* السوأم: الماشية والإبل والراعية، *** لم يرح عليه : أي تردد إبله إلى مراحها .

2– ديوان عروة بن الورد، دراسة وشرح وتحقيق، أسماء أبو بكر محمد، ص 45-46-47-48.

بين أسماء وليلى

تأخذوا أسماء موقف ساعية فمأخذ ليلى وهي عذراء أعجب

سؤال إلى الصعلوك:

إذا المرء لم يبعث سواما ولم يرح عليه ولم تعطف عليه أقاربه

فالموت خير للفتى من حياته فقيرا ومن مولى تدب عقاربه

وكذلك قافية حرف التاء: ستشبع أو تموت

أفي ناب* منحاها فقيرا له بطنا بنا طنب** مصيت

وفضله سمنة ذهبت إليه وأكثر حقه ما لا يفوت. [1]

قافية حرف الدال: إذا أردت المجد

ما بي من عار أخال علمته سوى أن أخوالي إذا نسبوا نهد

إذا ما أردت المجد قصر مجدهم فأعيا علي ان يقاربني المجد

قافية حرف الراء: ديار سلمى

أرقت صحبتي بمضيق عمق لبرق في تهامة مستطير

إذا قلت استهل على قديد بحور ربابه حور الكسير

قافية حرف العين: أحب وأنهق

وقالوا أحب وأنهق ولا تضيرك خير وذلك من دين اليهود ولوع

لعمري لئن عشرات من خشية الردى نهاق الحسير إنني لجزوع. [2]

قافية حرف اللام: عودة إلى أصحاب الكنيف

ألا أن أصحاب الكنيف وجدهم كما الناس لما أخصبوا وتمولوا

قافية حرف الفاء: أم حسان

أرى أم حسان الغداة تلومني تخوفني الأعداء والنفس أخوف. [3]

---

* ناب: هي الناقة المسنة، ** طنب: هو حبل طويل يشتد به سرادق البيت أي الخيمة

1- ديوان عروة بن الورد، دراسة وشرح وتحقق، أسماء أبو بكر محمد ص 49،51.

2– المصدر السابق ص 56،62.

3– المصدر نفسه ص 87، ص 91.

ويغلب على شعر عروة بن الورد بحر الطويل حيث يقول:

أقلب علي اللوم يا بنت منذر ونامي وإن لم تشتهي النوم فاسهري. [1]

ومن مختارات شعر عروة بن الورد:

أ/ قال:

إذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا
وصار على الأذنين كلا وأوشكت صلاة ذوي القربى له أن تنكرا
وما طالب الحاجات من كل وجهة من الناس إلا من أجد وشمرا
فسر في بلاد الله والتمس الغنى تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

ب/ قال:

أليس ورائي أن أدب على العصا فشمت أعدائي ويسأمني أهلي
رهنة قعر البيت كل عشية يطيف بي الولدان أهدج كالرأل
أقيموا بني لبنى صدور ركابكم فكل منايا النفس خير من الهزل
فإنكم لن تبغوا كل همتي ولا أربي حتى تروا منبت الأثل
لعل انطلاقي في البلاد وبغيتي وشدي حيازيم المطية بالرحل
سيد فعني يوما إلى رب هجمة يدافع عنها بالعقوق وبالبخل

1– دوان عروة سعدي غناوي، دار الجيل، بيروت، ط1، دت، ص 149.

جـــ/وقال أيضا:

إذا المرء لم يبعث سواما ولم يرح عليه ولم تعطف عليه أقاربه
فالموت خير للفتى من حياته فقيرا ومن مولى تدب عقاربه
وسائلة: أين الرحيل؟ وسائل ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه؟
مذاهبه أن الفجاج عريضة إذا صنن عنه بالفعال أقاربه
فلا أترك الإخوان ما عشت للردى كما أنه لا يترك الماء شاربه
ولا يستضام الدهر جاري ولا أرى كمن بات يسري للصديق عقاربه
وإن جارتي ألوت رياح بيتها تغافلت حتى يستر البيت جانبه.

2-القيم الإنسانية في شعر "عروة بن الورد"

مما لا يختلف فيه اثنين أن الشعر الجاهلي لم يخل من الاشادة بالقيم النبيلة سواء ما تعلق منها بالشهامة والكرم والصدق والعفة أو ما تعلق بالمآثر الإنسانية الأخرى، تلك المآثر الصادرة عن شاعر بسيط ذي نزعة إنسانية سامية، وصاحب إحساس مرهف يجعله يمنح غيره أعز ما يملك دون منة أو تردد.

فهناك شعر عزيز ألف لتجميد قيم إنسانية واجتماعية سامية (وصاحب إحساس مرهف) أقرها المجتمع الجاهلي.

ففي ضوء الحياة القاسية التي عاشها هذا الإنسان "عروة بن الورد" في صحرائه الواسعة، كان لزاما عليه أن يظل لفظا حادا في تعامله مع الحياة العامة ليستطيع التفوق على غيره ويشبع شعوره بالعزة وبالقوة.

ولقد أضفى "عروة بن الورد" على الصعلكة كثيرا من التقدير والاهتمام سواء في العصر الجاهلي أو في العصور الإسلامية، وذلك بما تحلى به من خلق فريد في السخاء والعطف الشديد على الفقراء واعتبار نفسه مسؤولا على تفريج كبريائهم، ومن القيم التي اتسم بها:

1- الاعتزاز بالقبيلة
2- الكرم
3- الصبر
4- الجرأة
5- الفخر
6- الصلة الشخصية (الصداقة)
7- قوة الارادة
8- الفروسية
9- العدالة

3-التقابل في القيم الانسانية

أ- الاعتزاز بالقبيلة:

إن الاعتزاز بالقبيلة من أكثر الموضوعات شيوعا في الشعر العربي القديم نتيجة لوضعهم القبلي الاجتماعي وما يترتب على ذلك. فهو معروف في علم الاجتماع، من تأثر الفرد بالقبيلة وترابط أفرادها وطغيان شخصية القبيلة من حيث هي علم على شخصية الافراد. فبعض الصعاليك كانوا من العمد التي تقوم عليها قوة قبيلتهم فكان عروة بن الورد يسخر شعره لخدمة أغراض الموضوعات فيقول:

لكل أناس سيد يعرفونه وسيدنا حتى الممات ربيع

اذا أمرتني بالعقوق حليلتي فلم أعصها إني إذا المضيع

يقدم عروة بن الورد الولاء بالقبيلة ولسيدها "الربيع بن زياد" ولاءا مطلقا يجعل "الربيع" السيد الأوحد. وولاء يستمر طالما استمرت الحياة في سبيل هذا الولاء يعصي "عروة" جميع الناس وحتى زوجته إذا أمرته بالخروج على ولائه، لأنه ان لم يعصها يحكم على نفسه بالضياع والتلف. [1] في حين نجد بعض الصعاليك أعلنوا القطيعة وذهبوا بحثا عن البديل ونرى ذلك "عروة بن الورد" مثلا:

وسائلة أين الرحيل وسائل ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه

مذاهبه: أن الفجاح عريضة إذا ضن عنه بالفعال أقاربه. [2]

فالشاعر هنا لم يعد يحتمل ذلك الناموس الطبيعي الرتيب الذي سنته القبيلة فمادام أن هذا الإنسان الفرد لا يستطيع أن يغير ما هو سائد وموروث فعليه أن يعلن القطيعة وإعلان البديل خارج القبيلة، إنه هروب يمتزج بالرفض، رفض القيم التي لم تعد تنسجم وطموحات الفرد وحريته.

1– يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص234.

2– ديوان عروة بن الورد، شرح وتقديم، سعيدي الضناوي، دار الجيل ، بيروت لبنان ، ط1 ،1996، ص190.

أقيموا بين أمي صدور مطيتكم فإني الى قوم سواكم لأميل
فقد حمت الحاجات والليل مقمر وشهدت لطيات مطايا وأرحل
لعمري !ما في الأرض ضيق على امرئ سرى راغبا أو راهبا وهو يعقل.[1]

فقد يبدو مثل هذا الموقف عاديا ولكن الشاعر أراد تأكيد عمق إحساسه بالهوة التي أصبحت تفصل بينه وبين بني قومه.

1- بوجمعة بوبعيو، جدلية القيم في العصر الجاهليي ، ص 78.

ب- العدل:

هنا نصادف شعرا عزيزا مرتبطا بحياة الفقر والحرمان إلى حد المبالغة وهو في مجمله لا يخلو من دعوة إلى نشر العدالة الاجتماعية التي ينبغي أن تتم بين الأفراد والجماعات.

إن العدل الانصاف واعطاء كل ذي حق حقه كان لدى كثير من الشعراء الجاهليين منهجا في الحياة يدعون إلى التمسك به والتحلي بخصاله.

وقد هيأت الحروب وما تجره من طيش وتهور النفوس لأن تميل إلى حكم العدل.

ومن الطبيعي أن يقوم بالعدل أو ما يرضى به ويكون أصلا للثناء جديرا بالمديح والافتخار.

وقد دعي "عروة بن الورد" إلى نشر العدالة الاجتماعية التي ينبغي أن تعم بين الأفراد والجماعات حيث يقول:

وإني امرؤ عافي إنائي شركة وأنت امرؤ عافي انائك واحد.[1]

أتهزأ مني أن سمنت وقد ترى بجسمي مس الحق والحق جاهد

أقسم جسمي في جسوم كثيرة وأحسوا صراح الماء والماء بارد

لقد بذل "عروة بن الورد" قصارى جهده إن لم نقل حياته لتحصيل المال الذي يسد به حاجة الفقراء من أبناء عشيرته, هؤلاء الذين وجدوا فيه مصدر قوتهم وقت الحاجة وآمن هذا الفارس بأن الحياة تفقد طعمها في ظل الفقر فهو يحاول أن يعيد التوازن بين الطبقات الاجتماعية.

ويعد "عمرو بن براقة الهمذاني" مساجلة العدو غارة بغارة وغزو بغزو ومبدأ عادلا ينفي عنه الظلم ويبعده عن الإفراط في قتال خصومه يقول:

وكنت إذا أقوم غزوني غزوتهم فهل أنا في ذيال همذان ظاله. [2]

1– ديوان عروة بن الورد ، ص 86 ،88.

2– مصطفى عبد اللطيف جياووك، الحياة والموت في الشعر الجاهلي، دار الصفاء ، عمان- الأردن، 2012، ط2، ص 258.

فهو يريد توزيع المال بشكل عادل وأن يأخذ مال الغني البخيل ليعطيه للفقير المعدم يقول:

دعيني أطوف في البلاد لعلني أفيد غني فيه لذي الحق محمل

أليس عظيما أن تلم ملمة وليس علينا في الحقوق معول.

في حين نجده يقارن بين منزلة الغني ومنزلة الفقير بين الناس حيث يقول:

دعني للغني أسعى فأني رأيت الناس شرهم الفقير

وأهونهم وأحقرهم لديهم وأن أمسى له كرم وخير

ويقصى في الندى وتزدريه خليلته وينهره الصغير

وتلقى ذا الغنى وله جلال يكاد فؤاد حاجبه يطير

قليل ذنبه والذنب جم لكن الغنى رب غفور. [1]

يعني "عروة" في هذه الأبيات أن الغني عندهم ذو مكانة وهمة عالية ويحتل المرتبة الأولى في قبيلته أما الفقير فهو معدوم، ولا يجد حتى قوت يومه، فهو مهمش داخل هذه القبيلة، فهو تقريبا لا قيمة له.

1– ديوان عروة بن الورد، ص 89.

جـــ- الكرم:

قد مجد الجاهلي عامة والصعلوكي خاصة هذه القيمة الأخلاقية السامية إلى حد المبالغة ولهذه القيمة صور كثيرة أرقاها أن يكون إنقاد من الموت أو حفاظ على حياة الجائع أو أن يجوع الكريم ليشيع المحتاج. فهذا أبو خراش الهذلي "يذكر أنه كريم يدعو امرأته دائما لا تذخر شيئا ولا تبقي لغد شيء، فإذا لم يجد في غد بعض زادهما يحاول أن يحصل على زاد غيره أو تمسك عن الطعام"

حيث يقول:

لقد علمت أم الأديبر أنني أقول لها هدي ولا تدخري لحمي

فإن غدا نجد بعض زادنا تفي لك زادا أو نعدك باللازم*. [1]

ويسجل " تأبط شرا" حوار بينه وبين شخص يعذله على كرمه وإسرافه يصور نفسه فيه كريما لا يبقي شيئا عنده مغامرا في سبيل الحصول على مزيد من المال ليرضي به مطالب كرمه:

يا من لغذالة خذالة**أيشب حرق باللوم جلدي أي تحراق.

أهلكت مالا لو قنعت به من ثوب صدق ومن بز*** وأعلاق****

إن البشاشة التي تعلو وجه الكريم حيث يوافيه طلاب المعروف تعد أول القرى قال: "عروة بن الورد":

سلي الطارق المعثر يا أم مالك إذا ما أتاني بين قدري ومجزري

ايسفر* وجهي؟ أنه أول القرى** وأبذل معروفي له دون منكري؟ [2]

ويقول أيضا:

وقد علمت سلمى أن رايي ورأي البخل مختلف شتيت

إن الكرم هو الفضيلة التي يجسدها "عروة" في اسمى معانيها وأنه يعطي كما يتنفس وكما يشرب ويأكل بل أنه يعطي أكثر من ذلك. يعطي اللقمة التي ليس عنده سواها لجائع

---

* الأزم: الامساك وترك الأكل، ** خذالة: الخذالة الذي يخدله في إرادته ويخالفه فيها، الخذالة كثير الجدل

* أيسفر وجهي؟: أيتهلهل بالبشاشة، ** القرى: اكرام الضيف والاحسان إليه.

1- عروة بن الورد، الديوان ص 166-167.

2– خليل حسن محمد، قراءات نصية في الشعر الجاهلي، دار جرير، عمان- الأردن، ط1، 2012، ص17.

يحتاجها. ويتحدث الشعراء الصعاليك عن أسباب فقرهم والذي يردونهم عادة إلى كرمهم واسرافهم

فـــ "عروة" أبو الصعاليك يرد فقره إلى بذله ماله للفقراء والمحتاجين الذين يأتون إليه يشكون فقرهم وعوزهم وكثرة أولادهم:

إذا قلت قد جاء الغنى حال دونه أبو صبية يشكو المفاقر أعجف

له خلت لا يدخل الحق دونها كريم أصابته خطوب تجرف

ويسجل "تأبط شرا" في قافيته المفصلية حوار بينه وبين شخص يعدله على كرمه وإسرافه، يصور نفسه فيه كريما لا يبقي على شيء عنده مغامرا في سبيل الحصول على مزيد من المال ليرضي به مطالب كرمه ويقول كذلك:

وقد علمت سلمى أن رأيي ورأي البخل مختلف شتيت

وأني لا يريني البخل رأي سواء ان عطشت وإن رويت

في حين نجده يقابل هذه القيمة بالبخل والأنانية حيث يقول "عروة بن الورد":

قليل التماس الزاد ألا لنفسه اذا هو أمسى كالعريش* المجور. [1]

يتحدث في هذا البيت عن إنسان أناني وتلك الصفة تعني الحقارة في عالم يمجد الكرم والإيثار.

ويعتبر الصعاليك أكثر الذين وقفوا عند ظاهرة الفقر والحرمان كأنهم بذلك يبترون أقدامهم على عمليات السطو والقرصنة، فهذا "عروة" يرسل صيحة مودة لرفاقه يحثهم على اجتناب الخمول والاستكانة للراحة التي تقعدهم عن طلب أرزاقهم ويصيب بهم أن يكونوا متأهبين للنهب والسلب لضمان عيش كريم يقيهم شر الموت الذي يهدد حياتهم في كل لحظة.

وهذا ما يجعلنا نؤكد نسبية العتية لدى هذا الفارس كأنه يخبرنا بالمقولة التي تذهب إلى أن "الغاية تبرر الوسيلة"، إذ لا ضير على هؤلاء الصعاليك إن غزوا ونهبوا أرزاق غيرهم

أقيموا بني أمي صدور ركابكم فإن منايا القوم خير من الهزل. [2]

1- ديوان عروة سعدي، ضناوي، ص149.

العريش: ما يشطل بع عشية الهودج.

2- عروة بن الورد، الديوان، ص 15.

د- الصداقة الشخصية (الصلة الشخصية):

يقدس عروة بن الورد الصداقة والوفاء بالعهد فهي في نظره قدوة يقتدي بها إنها قيمة خلقية تنبع من نفس الإنسان لكن يشترط عليه –الصديق- قبول النصيحة والابتعاد عن طريق الضلال والتمسك بطريق الصواب يقول:

وخل كنت عين الرشد منه إذا حظرت ومستمعا سميعا

أطاف بغية* فعدلت عنه وقلت له أرى أمرا فظيعا. [1]

فرب صديق أخلصت له الود, فكنت استمع باهتمام إلى ما يقول وألبي ما يطلب وأدله على طريق الصواب لكني تخليت وابتعدت عنه حين تبين لي أنه معتصم بالضلال وقلت له: " إن بقائك على ضلالك أمر فظيع لا أحتمله", ويقول في موضع آخر

ألما أغزرت في العس بزل ودرعة بنتها نسيا فعالي. [2]

ونرى في شعر عروة حديثا عن العدائيين فنجد التغيير بالحرب والقتال لأنهم يعتمدون في صراعهم المباشر مع الأعداء على القتال بالسيف وأدوات الحرب العدية المألوفة لديهم وصور الصراع مع الأعداء في شعر الصعاليك عامة كثيرة ولكنها توحي بصراع دائم أو مترتب دائما.

فعروة يرسم نموذجا عاما للصعلوك, كما ينبغي أن يكون عليه صراع كل صعلوك مع أعدائه أو هو الوصف لصراع الصعلوك الحقيقي كما يراه فيقول:

*مطلا على أعدائه يزجرونه** بساحتهم زجر المنيح*** المشهر

إذا بعدوا لا يأمنون اقترابه شوق أهل الغائب المنتظر

وهنا نجد أن هناك من المتمردين الصعاليك والذين أصبحوا أعداء لغيرهم

1– عروة بن الورد، الديوان، ص 193.

2– المصدر نفسه، ص 215.

* بغية: العني أي الصلال * مطلا: مشرقا ، ** يزجرونه: أي يصبحون به كما يوجز القدح إذا ضرب به.

*** المنيح: قدح مشعار، سريع الخروج والفوز بشعار فيضرب ثم يرد إلى صاحبه

هـ- الفخر:

فالفخر صلة مشتركة بين الشعراء جميعا قديمهم وحديثهم فلا نتصور شاعرا قط لم يفخر بنفسه وإن لم يكن يستحق من الفخر وقد فخروا, ولكننا نلاحظ أنهم لم يجعلوا الفخر موضوعا ولا حتى غرضا مقصودا لذاته فمثلا عروة بن الورد يفخر بإكرامه الضيف والفخر به شائع في شعر العرب فيقول:

فراشي فراش الضيف والبيت بيته ولم يلمني عنه غزال مقنع
أحدثه أن الحديث من القرى وتعلم نفسي أنه سوف يهجع. [1]

وهكذا حيث نتبع فخر الصعاليك نجد أنه ليس فخرا عاديا كالمألوف في فخر غيرهم, وإنما نجد لهم دائما طابعهم المعين, أو اتجاها خاصا يميزون به أنفسهم, يميزون به شعرهم.

حيث نرى أن عروة بن الورد يقابل هذه القيمة بصورة منقضة لها يقول عروة:

قالت تماضر, إذ رأيت مالي خوى وجفا الأقارب فالفؤاد قريح !!
مالي رأيتك في الندى منكسا وصبا كأنك في الندى نصيح
خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة إن القعود, مع العيال قبيح.
المال فيه مهانة وتجله, والفقر فيه مذلة وفضوح.[2]

ففي هذه الأبيات يبدو الفقر وحشا ينشب أنيابه في نفس عروة ويتضح من هذه الأبيات أثر المرأة ومواجهة المرأة, لهذا الزوج بالحقيقة المرة فالمال قد خوى وجفا الأقارب, والرجل أصبح منكسا, والعقود مع العيال قبيح كما أن فقرهم مذلة وفضوح ولهذا يجب عليه أن يخاطر على الفور بنفسه فالفقر شر لا يمكن تحمله, والنفس ثائرة تشعر بظلم واقع عليها وأن النفس المتمردة أصبحت محطمة, وهنا نرى تناقضا بين الافتخار بإكرامه للضيف وبين الذل من الفقر وجفاء الأقارب, ويقول كذلك:

---

* خوى: فرغ.

1- ديوان عروة بن الورد، أسماء أبو بكر، شرح وتحقيق، ص 54.

2– المصدر السابق، ص83 .

ذريني أطوف في البلاد لعلني أخليك أو أغنيك عن سوء محضري

وإن فاز سهمي كفكم عن مقاعد لكم خلف أديار البيوت ومنظر

فذلك إن يلق المنية يلقها حميد وإن يستغنى يوما فاجدر. [1]

وهنا عروة يطلق صرخته في وجه العصر متمثلة في تلك الصرخة التي واجه بها زوجته في رائيته المطولة, والأبيات تعكس بأسا شديدا يتجسد في عبارات تقترب من لغة الحديث اليومي, لكنها تدخل في إطار جديد, ولا شك منها أن تدعه إنما يمثل ضيقا في حياته أما قوله:(أخليك أو أغنيك) فإنه يجسد إحساسه بوطأة حياته على الغير وتبرمه منها, وعدم خوفه من الموت لأن التعساء لا يهابون الموت.

1– ديوان عروة بن الورد، اسماء أبو بكر محمد، شرح وتحقيق، ص 67.

و- قوة الإرادة:

يشير عروة إلى اعتماده على رأيه وحده, وأنه لا ينقاد قط إلا لما تمليه عليه إرادته, في قصة اليهود مع "بني النصير" حين نزل بهم ومعه "سلمى" زوجته التي أسرها من "مزينة" ثم تزوجها فراقت المرأة في جمالها لليهود, فاحتالوا على "عروة" وغرروا به, وظلوا يسقونه الخمر حتى السكر, فهو عجب كيف يفعل شيئا لم تمله عليه إرادته وضميره وكأمه ألف من نفسه أنه حتى السكر لا يحول بين سلوكه وإرادته وضميره فيقول:

سقوني الشيء ثم تكنفوني* عداة الله من كذب وزور.[1]

فهم سقوه الخمر والتفوا حوله, كأنهم يهتمون به وينصحونه, وكأن ذلك كله نفاقا كذبا, بل مؤامرة نفذها أعداء الله وفي موقف آخر نرى عكس ذلك وذلك بقوله:

فيا للناس كيف غلبت نفسي على شيء ويكرهه ضميري

ألا يا ليتني عاصيت طلقا وجيارا ومن لي من أمير. [2]

فنجد في أبياته حديثا عن أن الإنسان قد يضطر إلى أن يغلب نفسه على أمر يخالف ضميره, فيتعذب ويتألم لذلك وهنا يكشف الاستفهام على حيرة عروة وإنكاره لما حدث من إكراه نفسه على شيء كرهه ضميره.

* تكنفوني: أحاطوا بي.

1- عروة بن الورد، الديوان، ص 215.

2– ديوان عروة بن الورد، أسماء أبو بكر، شرح وتحقيق، ص 64.

س- الفروسية والجرأة والشجاعة:

كانت حياة الصعاليك تتسم دائما بالجرأة والفروسية وأن الأمر لا يقتصر غلى المظاهر الاجتماعية ونوعية الغلاقة التي تحكم الأشخاص فيما بيتهم, فهم لا يبالون بالنتائج ولو كان من بينها الموت, فعروة بن الورد يوضح لنا ذلك من خلال أبياته في حديثه عن الجرأة يقول:

إذا قيل يا ابن الورد أقدم إلى الوغى أجبت فلاقاني كمي* مقارع. [1]

ويبين لنا سبب إقدامه وجرأته, فيقول أنه عدم الحرص على الحياة فيقول:

فإن سهم المنية لم أكن جزوعا وهل عن ذاك من متأخر

فهذا يدل على شجاعته ومناشدة قومه له, فهو لا يقاتل الآخرين, بل يتصدى للفارس المقدام, فهو من الثائرين على الظلم وتقاليد القبيلة وقلة العدالة في التعامل مع الإخوة.

فعروة يرسم لنا صورة عن الصعلوك المستبط حماسا وحيوية وحركة حتى كأن الحيوية جذوة نار تكسر وجهه, هو في صراع دائم مع العيش والحياة والأعداء, ويبلغ من خطره أن أعداءه مهما حاولوا البعد عنه اتقاء لشره, وفي الوقت نفسه يرسم صورة مقابلة للأولى والتي ترسم لنا كيف أنهم يسخرون سخرية موجعة من الصعلوك المستكين للهوان, الذي يرضى لنفسه أن يكون كل أمله أكلة يجود عله بها أحد الموسرين, وأن يكون ما في حياته حلقة مفرغة من النوم والكسل وخدمة المحسنين أليه فيقول:

لحا الله صعلوكا إدا جن ليله مصا في المشاش آلفا كل مجزر

يعد الغنى من نفسه كل ليلة أصاب قراها من صديق ميسر

ينام عشاء ثم يصبح ناعسا يحث الحصى عن جنبه المتعفر

يعين نساء الحي ما يستعنه ويمسي طليحا كالبعير المحسر. [2]

* كمي: الفارس اللابس للسلاح.

1- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 234.

2– عروة بن الورد، دراسة وشرح وتحقيق، أسماء أبو بكر محمد، ص 74.

ح- الصبر:

للصبر قيمة كبرى عند الجاهلي وحتى في عصر الإسلام فالصبر مرتبط بالإرادة, أعني الصبر الذي يتحكم فيه صاحبه وليس الذي يكون نوعا من الضعف.

والواقع أن نصيب الصعاليك في جملتهم يعتمد على الصبر فحين ننظر إلى عروة الذي يرى نفسه ليس صبورا فحسب بل هو مولى للصبر والتحكم في نفسه فهو يحدثنا عن صور صبره فيقول:

صبور على رزق المولى وحافظا لعرضي حتى يؤكل النبت أخضرا.[1]

ويقول أن صبره أقوى من كل حدث, فلا شيء قط يدفعه إلى شكوى أو جزع.

فلا أنا مما جرت للحرب مشتك ولا أنا مما أحدث الدهر جازع. [2]

وكل ما في حياة الصعلكة لا يقوى عليه إلا الرجل الصبور, فحياة الصعلكة من حيث هي نموذج للصبر الشديد على حياة قاسية مجهدة محفوفة بالمخاطر من كل جوانبها, وفي كل خطواتها وقد صبر الصعاليك على حياتهم.

في حين نرى أنه يخرج عن صبره في موقع آخر كأن يقول:

وقد عيروني المال, حين جمعته وقد عيروني الفقر إذا أنا مقتر

وعيرني قومي شبابي ولمتي متى ما يشاء في غنم آخر جعفر

ولا أنتمي إلا لجار مجاور فما آخر العيش الذي أنتظره؟!

في هذه الأبيات يرى عروة بت الورد أنه خرج عن صبره فهو يرى أنه عاش حياة كلها هموم ومعاناة داخل قبيلته وكلها جفاء وازدراء وحياة فقر وعناء خاصة حين ثارت زوجته ضده.

1– ديوان عروة بن الورد، أسماء أبو بكر محمد، ص 71- 72.

2– عروة بن الورد،الديوان، ص 97 .

خاتمة

تهدف هذه الدراسة إلى ابراز القيم النبيلة وفي الوقت نفسه قيم مقابلة لهذه القيم.

فمن خلال دراستنا التقابل في القيم الإنسانية في شعر الصعاليك "عروة بن الورد" نموذجا استخلصنا النتائج التالية:

- ان أدب الصعاليك يصور ضربا من الأخلاق والنزاعات لا نجده في شعر غيرهم.
- شعر الصعاليك يصور نفسياتهم وأعمالهم، فهو صدى للواقع.
- يبدو أن شعر الصعاليك خاصة شعر "عورة بن الورد" هو أكثر الشعر الجاهلي صفاء والتقيد بقوالب الشكل، فهو شعر وجداني بحث.
- تتميز مقطوعات "عروة بن الورد" بأنها تخرج على نظام القصيدة الجاهلية وتلتزم وحدة الموضوع. فعروة لم يقف على الأطلال. ولئن أشار في قصيدة أو في غير قصيدة إلى مكان يرتبط باسم المحبوبة. فلأن ذلك المكان يرتبط أيضا بالقصة التي يعرضها.

ما يميز "عروة بن الورد" أن أخلاقه السامية لم تبقى دفينة في نفسه مكتفية بتوجيه سلوكه وتصرفاته. بل كانت تفيض عنه شعرا سهلا محببا تشكل مدرسة يتعلم فيها "أبناء عبس" حسن السلوك إلا أنه يناقض نفسه في بعض المواقف مما جعلنا نجد التقابل بين القيم التي دعا إليها وتحلى بها وهي قيم نبيلة وهناك قيم سلبية وجدناها في شعره.

و من خلال هذه النتائج تمكنا من معرفة شعر الصعاليك لاسيما شعر عروة بن الورد وأهم مميزاتها : القيم الإنسانية في ديوانه، كما وجدنا ما يقابل هذه القيم بقيمة سلبية أخرى التي نتجت عن الصعلكة وعن المتصعلكين.

وفي الأخير إن كانت هناك كلمة يجب أن تقال فهي الاعتراف بفضل الأستاذ المشرف " عزوز سطوف" الذي لم يبخل علينا بالتوجيهات والنصائح وإمدادنا بمختلف المصادر والمراجع، فله منا جزيل الشكر والتقدير والعرفان.

نوجه خالص شكرنا إلى كل من ساهم في إنجاز هذه المذكرة المتواضعة خاصة عاملات مكتبة اللغة العربية وآدابها "المركز الجامعي ميلة" كما نشكر إدارة المعهد على كل ما قدمته لنا من تسهيلات.

فهرس الموضوعات:

مقدمة

الفصل الأول: التقابل في القيم الإنسانية

المبحث الأول: تحديد المصطلحات

1. تحديد مصطلح التقابل ..... ص 04.

2. مفهوم القيمة ..... ص 06.

3. مفهوم الإنسانية ..... ص 08.

4. مفهوم القيم الإنسانية ..... ص 10.

5. التقابل في القيم الإنسانية ..... ص 12.

المحث الثاني: الصعلكة.

1. تعريف الصعلكة ..... ص 13.

أ- لغة ..... ص 13.

ب- اصطلاحا ..... ص 15.

2. مفهوم شعر الصعلكة ..... ص 20.

3. أسباب الصعلكة ..... ص 24.

4. أبرز الخصائص المميزة لشعر الصعلكة ..... ص 27.

الفصل الثاني: التقابل في القيم الإنسانية في شعر عروة بن الورد

1. التعريف بالمدونة ..... ص 29.

2. القيم الإنسانية في شعر عروة بن الورد ..... ص 35.

3. التقابل في القيم الإنسانية ..... ص 36.

خاتمة ..... ص 48.

قائمة المصادر والمراجع ..... ص 49-50.

فهرس الموضوعات ..... ص 51.

قائمة المراجع والمصادر

1- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، يوسف خليف، دار المعارف القاهرة، مصر، د ن، ط3.

2- جدلية القيم في الشعر الجاهلي، بوجمعة بوبعيو، اتحاد الكتاب العرب، دمشق (دط)2001.

3- ابن منظور، لسان العرب، مادة(قوم) حرف الميم، فصل القاف، ج11، د ط، د ن.

4- ابن منظور، لسان العرب، مادة أنس، ضبط نصه وعلق حواشيه خالد رشيد القاضي، دار الصبح وادي سوفت، بيروت، لبنان، د ط، 427هـ، 2006م.

5- سهام الصيام، الإنسانية في روايات نجيب الكيلاني، بحث مقدم لنيل شهادة الماجيستير في الأدب الإسلامي، د ط، 422هـ، 2002/2001م.

6- المنجد في اللغة العربية المعاصرة، المشرق، بيروت، لبنان، ط2، 2001.

7- بطرس البستاني، الشعراء الفرسان، دار المكشوف، بيروت، لبنان، ط2، 1966.

8- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، لسان العرب المحيط، قدم له الشيخ عبد الله العلايلي، أعاد بناءه على الحرف الأول في الكلمة: يوسف خياط، مج2، (بيروت، دار لسان العرب، مادة صعلك، دن).

9- الفيروز بادي، القاموس، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان، ط8، 2005.

10- البنية السردية في شعر الصعاليك، ضياء غني لفتة، دار جامد للنشر والتوزيع، ط1، 1431ه، 2010م.

11- ديوان عروة بن الورد، أسماء أبو بكر محمد، شرح وتحقيق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1418هـ، 1998م.

12- غازي طليبات وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي(قضاياه- أغراضه- أعلامه- فنونه)، مكتبة الإيمان ودار الإرشاد، دمشق، حمص، ط1، 1412هـ، 1992م.

13- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1986.

14- ديوان عروة سعدي الضناوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1996.

15- مصطفى عبد اللطيف جياووك، الحياة والموت في الشعر الجاهلي، دار الصفاء، عمان، الأردن، ط2، 2001م.

16- عبد الغني، أحمد زيتوني، الإنسان في الشعر الجاهلي، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2001م.

17- جليل حسن محمد، قراءات نصية في الشعر الجاهلي، دار جرير، عمان، الأردن، ط1، 2012م.

18- التيريزي، شرح اختيارات المفضل، تحقيق فخر الدين، قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، م2، ج1، ط2، 1987م.

19- عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دار الكتب، د ط، 4607/1987.

20- كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار العلم الملايين، بيروت، ط5، 1996، مج 9.